## ٢- فصل

## فى أيام دولة عبد الملك بن مروان[١]

وهو أول من تسمى عبد الملك فى الإسلام وكان يلقب برشح الحجر ذكره فى حياة الحيوان[٢] .

[١٩] وذكر محمد بن واسع الهيتى أن عبد الملك بن مروان بعث كتابا إلى الحجاج بن يوسف[٣] يقول فيه:"بسم الله الرحمن الرحيم إلى

---

(١) عبد الملك بن مروان بن الحكم أبو الوليد الأموى : من أعاظم خلفاء بنى أمية ودهاتهم. نشأ فى المدينة فقيها واسع العلم ، متعبدا ، ناسكا . شهد يوم الدار مع أبيه، واستعمله معاوية على المدينة وهو ابن ستة عشرة عاما . وانتقلت إليه الخلافة بموت أبيه [٦٥هـ] وضبط أمورها وظهر بمظهر القوة ، فكان جبارا على معانديه . ونقلت فى أيامه الدواوين من الفارسية والرومية إلى العربية ، وضبطت الحروف بالنقط والحركات. وهو أول من سك الدنانير فى الإسلام . قال الشعبى : ما ذاكرت أحدا إلا وجدت لى الفضل عليه إلا عبد الملك بن مروان، ت [٨٦هـ - ٧١٥م] . انظر : الكامل لابن الأثير (١٩٨/٤) ، الطبرى (١٥٦/٨) .

(٢) انظر : حياة الحيوان ، حرف الهمزة (٩٥/١) .

(٣) الحجاج بن يوسف بن الحكم الثقفى : قائد ، داهية ، سفاك ، خطيب . ولد ونشأ بالطائف فى الحجاز ، لحق بروح بن زنباع نائب عبد الملك بن مروان فكان فى عديد شرطته ثم مازال يظهر حتى قلده عبد الملك أمر عسكره ، وأمره بقتال عبد الله بن الزبير فقتله ، وفرق جمعه ، فولاه عبد الملك أمر مكة والمدينة والطائف ثم أضاف إليه العراق ،فتولى قمع الثورة فيها وثبت الإمارة لعبد الملك عليها عشرين سنة ، وله-

الحجاج بن يوسف إذا ورد عليك كتابى هذا وقرأته فسير لى ثلاث جوار مولدات نهداً بكار يكون إليهن المنتهى فى الجمال ، واكتب لى بصفة كل واحدة منهن ومبلغ ثمنها من المال". فلما ورد الكتاب على الحجاج دعا بالنخاسين ثم أمرهم بما أمر به أمير المؤمنين ، وأمرهم أن يغوصوا فى البلاد حتى يقعوا على الغرض فلم يزالوا من بلد إلى بلد ومن إقليم إلى إقليم حتى وقعوا على الغرض ورجعوا إلى الحجاج بثلاث جوار نهدٍ بكار مولدات ليس لهن مثيل؛ وكان الحجاج فصيحا فجعل ينظر إلى كل واحدة منهن وثمنها من المال فوجدهن لايقومن بقيمة وإن ثمنهن ثمن واحدة منهن ؛ ثم كتب كتابا إلى عبد الملك بن مروان يقول فيه : بعد الثناء الجميل وصلنى كتاب أمير المؤمنين متعنى الله تعالى ببقائه يأمر فيه أن أشترى له ثلاث جوار مولدات نهداً بكار وأن أكتب له بصفة كل واحدة منهن وثمنها : أما الجارية الأولى -أطال الله بقاء أمير المؤمنين- فإنها لطيفة السوالف[1]، عظيمة الروادف ، كحلاء العينين ، حمراء الوجنتين ، قد أنهدت نهداها والتفت فخذاها كأنها ذهب شيب بفضة وهى كما قيل :

بيضاء فى طرفها دعج يزينها  كأنها فضة قد شابها ذهب[2]

وثمنها ياأمير المؤمنين ثلاثون ألف درهم . وأما الجارية الثانية : فإنها فائقة فى الجمال معتدلة القد والكمال ، يشفى السقيم كلامها الرخيم ،

---

مأثر حسنة . وكان سفاكاً للدماء جباراً روع المسلمين . وأمره معروف ، ت[٩٥هـ - ٧١٤م] .انظر : وفيات الأعيان (١/١٢٣) ، مروج الذهب للمسعودى (٢/١٣٠).

(١) لطيفة السَّوَالِف ، جمع السَّالِفَة : صفحة العنق عند مُعَلَّق القرط .

(٢) دعج : سواد العين مع سعتها .

وثمنها ياأمير المؤمنين ثلاثون ألف درهم . وأما الجارية الثالثة : فإنها فاترة الطرف ، لطيفة الكف ، عظيمة الردف ، شاكرة للقليل ، مساعدة للخليل، بديعة الجمال كأنها خشف[1] غزال ، وثمنها ياأميرالمؤمنين ثمانون ألف درهم؛ ثم أطنب فى الشكر والثناء على أمير المؤمنين، وطوى الكتاب وختمه ودعا بالنخاسين ، وقال : تجهزوا للسفر بهؤلاء الجوارى لأميرالمؤمنين. فقال أحد النخاسين : أيد الله الأمير إنى رجل كبير وضعيف عن السفر ولى ولد ينوب عنى فتأذن لى أن أجهزه قال : نعم فتجهزوا وخرجوا . ففى بعض مسيرهم نزلوا ليستريحوا فى بعض الأماكن فنامت الجوارى ، فهبت ريح فانكشفت إحداهن وهى الكوفية فظهر نور ساطع ، وكان اسمها مكتوم فنظر إليها ابن النخاس وكان شابا جميلا ففتن بها لساعته فأتاها على غفلة من أصحابنا وجعل يقول :

أمكتوم عينى ما تمل من البكا ... وقلبى بإسهام الأسى يترشق
أمكتوم كم من عاشق قتل الهوى ... وقلبى رهين كيف لا أتعشق

فأجابته تقول :

لو كان حقا ماتقول لزرتنا ... ليلا إذا هجعت عيون الحسد[2]

فلما جن الليل انقض ابن النخاس بسيفه وأتى نحو الجارية ، فوجدها قائمة تنتظر قدومه ، فأخذها وأراد الهرب بها ففطن به أصحابه ، فأخذوه وكتفوه وأوثقوه بالحديد ولم يزل مأسورا معهم إلى أن قدموا على

---

(١) خِشْف : ولد الظبى ، أول ما يولد .

(٢) هجعت : نامت .

عبد الملك. فلما قدموا بالجوارى بين يديه أخذ الكتاب وفتحه وقرأه فوجد الصفة موافقة فى اثنتين ولم توافق فى الثالثة ورأى بوجهها صفرة وهى الجارية الكوفية ، فقال للنخاسين : مابال هذه الجارية لم توافق الصفة التى ذكرها الحجاج فى كتابه وماهذا الاصفرار الذى بها وهذا الانتحال؟ فقالوا ياأمير المؤمنين : نقول وعلينا الأمان ؟ إن صدقتم أمنتم وأن كذبتم هلكتم، فخرج أحد النخاسين وأتى بالفتى وهو مصفد بالحديد،فلما قدموه بين أمير المؤمنين وأخبروه بما فعل بكى بكاءاً شديداً وأيقن بالعذاب ثم أنشأ يقول:

أمير المؤمنين أتيت رغما ... وقد شدت إلى عنقى يديا
مقرا بالقبيح وسوء فعلى ... ولست بما رميت به بريا
فإن تقتل ففوق القتل ذنبى ... وإن تعف فمن جود عليا

فقال له عبد الملك يافتى ماحملك على مافعلت استخفافا بنا أم هوى للجارية؟ فقال : وحقك ياأمير المؤمنين وعظيم قدرك ماهو إلاهوى بالجارية، فقال هى لك بما أعد لها فأخذ الغلام الجارية بكل ما أعدها أمير المؤمنين من الحلى والجمان وسار بها فرحا مسرورا ، حتى إذا كانا ببعض الطريق نزلا منزلا ليلا فتعانقا فلما أصبح الصباح وأراد الناس الرحيل نبهوهما فوجدا ميتين ، فبكوا عليهما ودفنوهما فى الطريق، ومضى خبرهما إلى أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان فبكى عليهما وتعجب من ذلك أهـ.

## وهذه حكاية تشابهها فى العشق :

**[٢٠] حكى عن عبد الله بن معمر القيسى أنه قال :** حججت سنة إلى بيت الله الحرام فلما قضيت حجى عدت لزيارة قبر النبى ﷺ فبينما أنا

ذات ليلة جالس بين القبر والروضة إذ سمعت أنينا عاليا وحنينا باديا فأنصت إليه فإذا هو يقول هذه الأبيات:

أشجاك نوح حمائم السدر ... فأهجن منك بلابل الصدر
أم عز نومك ذكر غانية ... أهدت إليك وساوس الفكر
ياليلة طالت على دنف ... يشكو الغرام وقلة الصبر
أسلمت من يهوى لحر جوى ... متوقدا كتوقد الجمر
فالبدر يشهد أننى كلف ... مغرى بحب شبيهة البدر
ماكنت أحسبنى بها شجنا ... حتى بليت وكنت لا أدرى

قال ثم انقطع الصوت ولم أدر من أين جاءنى فبقيت حائرا ، وإذا به قد أعاد البكاء والحنين وأنشأ يقول هذه الأبيات :

أشجاك من ريا خيال زائر ... والليل مسود الذوائب عاكر
واقتاد مقلتك الهوى برسيسه ... واهتاج مقلتك الخيال الزاهر
ناديت ليلى والظلام كأنه ... يم تلاطم فيه موج زاخر
والبدر يسرى فى السماء كأنه ... ملك ترحل والنجوم عساكر
ياليل طلت على محب ما له ... إلاالصباح مساعد وموازر
فأجابنى مت حتف أنفك ... إن الهوى لهو الهوان الحاضر

قال : فنهضت عند ابتدائه الأبيات أؤم الصوت فما انتهى لآخر الآبيات إلا وأنا عنده ، فرأيته غلاما ماسال عِذَارَه وُقد خرق الدمع وجنتيه خرقين ، فقلت : أنعمت غلاما. فقال : وأنت ، فمن الرجل ؟ قلت : عبد الله بن معمر القيسى . قال : أفلك حاجة ؟ قلت له : كنت جالسا فى الروضة فما راعنى فى هذه الليلة إلا صوتك فبنفسى أفديك ما الذى تجده

قال اجلس فجلست ، قال : أنا عتبة بن الحباب بن المنذر بن الجموح الأنصارى غدوت إلىمسجد الأحزاب فبقيت راكعا وساجدا ثم اعتزلت غير بعيد ، فإذا بنسوة يتهادين كالأقمار وفى وسطهن جارية بديعة الجمال كاملة الملاحة فوقفت عليَّ ، وقالت : ياعتبة ماتقول فى وصل من يطلب وصلك ؛ ثم تركتنى وذهبت فلم أسمع لها خبرا ولا وقفت لها على أثر فأنا حيران أتنقل من مكان إلى مكان،ثم صرخ وانكب على الأرض مغشيا عليه؛ ثم أفاق كأنما صبغت ديباجتا خديه بورس ثم أنشد يقول هذه الأبيات :

أراكم بقلبى من بلاد بعيدة ... تراكم ترونى بالقلوب على بعد
فؤادى وطرفى يأسفان عليكم ... وعندكم روحى وذكركم عندى
ولست ألذ العيش حتى أراكم ... ولو كنت فى الفردوس أو جنة الخلد

قال : فقلت له : يا ابن أخى تب إلى ربك واستقل من ذنبك ، فإن بين يديك هول المطلع ، فقال : هيهات ما أنا بسال حتى يؤب القارظان[1]ولم أزل به حتى طلع الفجر فقلت : قم بنا إلى مسجد الأحزاب، فقمنا إليه فجلسنا حتى صلينا الظهر، وإذا بنسوة قد أقبلن وأما الجارية فليست فيهن فقلن ياعتبة ماظنك بطالبة وصلك وكاشفة ما بك قال: ومابالها ؟ قلن : أخذها أبوها وارتحل إلى السماوة ، فسألتهن عن الجارية ،فقلن : هى ريا بنت الغطريف السلمى[2] فرفع رأسه وأنشد يقول:

---

(١) حتى يؤب القَارِظان : هما رجلان يضرب بهما المثل فيمن لم يرجع من ذهابه .

(٢) رَيَّا بنت الغطريف السُّلَميَّة : شاعرة من أهل العصر الأموى ، كانت تسكن بادية السماوة بين الكوفة والشام ، وكان أبوها من أشراف قومه . انظر : أعلام النساء (٤٧٣/١) .

خليلى ريا قد أجد بكروها وسار إلى أرض السماوة عيرها
خليلى إنى قد عييت عن البكا فهل عند غيرى عبرة أستعيرها

فقلت له : ياعتبة إنى وردت بمال جزيل أريد به أهل الستر ووالله لأبذلنه أمامك حتى تبلغ رضاك وفوق الرضا قم بنا إلى مسجد الأنصار فقمنا حتى اشرفنا على مائهم ، فسلمت فأحسنوا الرد ثم قلت : أيها الملأ ماتقولون فى عتبة وأبيه ؟ قالوا: من سادات العرب ، قلت : فإنه رمُى بداهية من الهوى فأريد منكم المساعدة إلى السماوة قالوا : سمعا وطاعة ، فركبنا وركب القوم معنا حتى أشرفنا على منازل بنى سليم فعلم الغطريف بمكاننا ، فخرج مبادرا واستقبلنا وقال : حييتم ياكرام . قلنا: وأنت حييت إنا لك أضياف ، فقال : نزلتم بأكرم منزل ، ثم نادى يامعشر العبيد انزلوا فنزلت العبيد ففرشت الأنطاع[1]والنمارق[2] وذبحت النعم والغنم فقلنا لسنا بذائقين طعامك حتى تقضى حاجتنا ، فقال : وما حاجتكم ؟ قلنا : نخطب ابنتك الكريمة لعتبة بن الحباب بن المنذر العالى المفخر الطيب العنصر، فقال : يا أخى إن التى تخطبونها أمرها إلى نفسها وأنا أدخل وأخبرها ثم نهض مغضبا ودخل إلى ريا ، فقالت: ياأبت مالى أرى الغضب بين عينيك، فقال: ورد على قوم من الأنصار يخطبونك منى ، فقالت : سادات كرام استغفر لهم النبى ﷺ فلمن الخطبة فيهم ؟ قال : لفتى يعرف بعتبة بن الحباب ، قالت : سمعت عن عتبة هذا أنه يفى بما وعد ويدرك ماطلب ، قال: أقسمت لا زوجتك به أبدا . فقد نمى إلىَّ بعض حديثك معه ، قالت:

---

(١) الأنطاع ، جمع نطع : بساط من الجلد يفرد تحت الذبائح .
(٢) النمارق ، جمع نُمْرُقَة : الوسادة الصغيرة يتكأ عليها .

ماكان ذلك ، قال : ولكن أقسمت أنى ماأزوجك به ، قالت :أحسن إليهم فإن الأنصار لايردون ردا قبيحا ، فأحسن الرد ، قال : بأى شئ ، قالت : أغلظ عليهم المهر فإنهم يرجعون، قال : ماأحسن ماقلت : ثم خرج مبادرا فقال : إن فتاة الحى قد أجابت ولكن أريد لها مهر مثلها فمن القائم به ؛ قال عبد الله، فقلت : أنا فقال : أريد لها ألف سوار من ذهب أحمر ، وخمسة آلاف درهم من ضرب هجر ، ومائة ثوب من الأبراد والحبر ، وخمسة أكرشة من العنبر قال : قلت لك ذلك فهل أجبت ؟ قال : أجل ؛ فأنفذ عبد الله نفرا من الأنصار إلى المدينة المنورة فأتوا بجميع ماضمنه ، وذبحت النعم والغنم واجتمع الناس لأكل الطعام ، قال : فأقمنا على هذا الحال أربعين يوما . ثم قال : خذوا فتاتكم فحملناها على هودج وجهزها بثلاثين راحلة من التحف ، ثم ودعنا وانصرف وسرنا حتى إذا بقى بيننا وبين المدينة المنورة مرحلة خرجت علينا خيل تريد الغارة وأحسب أنها من بنى سليم فحمل عليها عتبة بن الخباب ، فقتل عدة رجال وانحرف راجعا وبه طعنة ثم سقط إلى الأرض ، وأتتنا النصرة من سكان تلك الأرض فطردوا عنا الخيل ، وقد قضى عتبة نحبه. فقلنا : واعتبتاه فسمعتنا الجارية تقول : واعتبتاه فألقت نفسها من فوق البعير وانكبت عليه وجعلت تصيح وتقول بحرقة :

تصبرت لا إنى صبرت وإنما ... أعلل نفسى إنها بك لاحقه
ولو أنصفت روحى لكانت إلى الردى ... أمامك من دون البرية سابقة
فما أحد بعدى وبعدك منصف ... خليلا ولانفس لنفس موافقه

ثم شهقت شهقة قضت نحبها ، واحتفرنا لهما قبرا واحدا ووارياهما فى التراب ورجعت إلى ديار قومى ، وأقمت سبع سنين عدت إلى الحجاز،

ووردت المدينة المنورة للزيارة ، فقلت : لأعودن إلى قبر عتبة فأتيت إلى القبر فإذا شجرة عليها عصائب حمر وصفر وخضر ، فقلت : لأرباب المنزل مايقال لهذه الشجرة ؟ فقالوا: شجرة العروسين فأقمت عند القبر يوما وليلة وانصرفت وكان آخر العهد به[1].

## ومثل ماتقدم من العشق وماورد فى كتمان الهوى مع تحقق النظر عند إعلانه :

[٢١] **ماحكى عن بعض المعمرين من ذوى النعم ، قال** : بينما أنا فى منزلى إذ دخل على خادم لى ومعه كتاب فقال : رجل بالباب دفع إلى هذا الكتاب ففتحته فإذا فيه شعر:

تجنبك البلاء ونلت خيرا ... ونحاك المليك من الغموم
فعندك لو مننت شفاء نفسى ... وأعضاء ضنين من الكلوم

فقلت عاشق والله ، وقلت للخادم : اخرج وأتنى به فخرج فلم ير أحدا فتعجبت من أمره وأحضرت الجوارى كلهن من يخرج منهن ومن لم يخرج منهن وسألتهن عن ذلك فحلفنى أنهن لايعرفن من حديث هذا الكتاب شيئا ، فقلت : إنى لم أفعل ذلك بخلا بمن يهوى منكن فمن عرفت بحال هذا الفتى فهى هبة منى له بمالها ومائة دينار ، وكتبت جوابه أشكره على ذلك وأسأله قبولها ، ووضعت الكتاب فى جنب البيت ومائة دينار وقلت : من عرف شيئا فليأخذه . فمكث الكتاب والذهب أياما لا

---

(١) انظر : تزيين الأسواق فى أخبار العشاق لداود الأنطاكى ص ١٦٤

يأخذه أحد فغمنى ذلك . قلت : هذا قنع ممن يحبه بالنظر فمنعت من يخرج من جوارى من الخروج فما كان إلا يوم أو بعض يوم إذ دخل على الخادم ومعه كتاب ، وقال : هذا من بعض أصدقائك بعث به إليك فقلت : اخرج وائتنى به فخرج فلم يجده ففتحت الكتاب فإذا فيه :

ماذا أتيت إلى روح معلقة ... عند التراقى وحادى الموت حاديها
حثت حاديها ظلما فحدبها ... فى السير حتى تخلت عن تراقيها
والله لو قيل لى تأتى بفاحشة ... وإن عقباك دنيانا وما فيها
لقلت لا والذى أخشى عقوبته ... ولابأضعافها ماكنت آتيها
لولا الحياء لبحنا بالذى سكنت ... بيت الفؤاد وأبدينا أمانيها

قال فغمنى أمره فقلت للخادم : لايأتينك أحد بكتاب إلا قبضت عليه، قال : وقرب موسم الحاج ، قال : فبينما أنا قد أفضت من عرفة وإذا فتى إلى جانبى على ناقة لم يبق منه إلا الخيال فسلم على فرددت عليه السلام ورحبت به ، فقال : أتعرفنى؟ فقلت : ومانكرك بسوء ، فقال : أنا صاحب الكتابين ، فانكبت عليه فقلت له : يا أخى لقد غمنى أمرك وأقلقنى كتمانك لنفسك ووهبت لك طلبتك ومائة دينار، فقال : بارك الله لك إنما أتيتك مستحلا من نظر كنت أنظره على غير حكم الكتاب والسنة ، فقلت: غفر الله لك وللجارية فسر معى إلى منزلى لأسلمها إليك ومائة دينار ومثلها فى كل سنة ، فقال : لا حاجة لى بذلك فألححت عليه فلم يفعل ، فقلت له : أما إذا أبيت فعرفنى من هى من جوارى لأكرمها من أجلك ماحييت فقال ماكنت لأسميها لأحد وودعنى وانصرف وكان آخر العهد به، انتهى.

## ونعود إلى الكلام عَلى ماوقع فى زمان عبد الملك بن مروان

[٢٢] روى : أنه لما ولى الحجاج الحرمين الشريفين حظى عنده إبراهيم بن محمد بن طلحة فلما أراد الحجاج الرجوع إلى الشام إلى عبد الملك بن مروان أوفد معه إبراهيم بن محمد بن طلحة ، وقال : أتيتك برجل الحجاز فى الشرف والأبوة والفضل والمروءة ياأمير المؤمنين مع ماهو عليه من حسن الطاعة وجميل المناصحة والله لم يكن فى الحجاز له نظير فبالله عليك ياأمير المؤمنين ألا فعلت معه من الخير ماهو مستحقه، فقال عبد الملك : من هو ياأبا محمد ؟ قال له : إبراهيم بن محمد بن طلحة ، قال : ياأبا محمد لقد ذكرتنا بحق واجب ائذن له فى الدخول فلما دخل على عبد الملك أمر بجلوسه فى صدر المجلس ثم قال : إن أبا محمد الحجاج ذكر لنا مانعرفه من كمال مروءتك وحسن نصيحتك فلا تدع فى صدرك حاجة إلا أعلمتنا بها حتى نقضيها لك ، ولانضيع شكر أبى محمد الحجاج فيك . قال إبراهيم : إن الحاجة ألتى نبغى بها وجه الله تعالى والتقرب إلى النبى ﷺ فى القيامة نصيحة أمير المؤمنين ، قال : قل ، قال : لاأقولها وبينى وبينك ثالث ، قال : ولاصديقك الحجاج ، قال : لا ، قال : قم ، فقام خجلا وهو لايعرف أين تطأ رجله .

فلما مضى ، قال له : هات نصيحتك ، فقال إبراهيم : ياأمير المؤمنين وليت الحجاج الحرمين الشريفين وفيهما من تعرف من أولاد المهاجرين والأنصار وصحابة رسول ﷺ مع ما تعلمه من ظلمه وفسقه وجوره وبعده من الحق ، وقربه به إلى الباطل ، يسومهم الخسف ويطؤهم بالعسف ، فليت شعرى أى جواب أعددته لرسول الله ﷺ إذا سألك الله فى عرصات القيامة عن ذلك فبالله عليك ياأمير المؤمنين ألا عزلته وادخرتها قربة إلى الله

تعالى ، فقال عبد الملك : لقد ظن الحجاج الخير بغير أهله ؛ ثم قال : يا إبراهيم قم فقمت على أنحس حال وخرجت من المجلس وقد اسودت الدنيا فى وجهى ، فتبعنى حاجبه وقبض على زندى وجلس بى فى الدهليز، ثم دعا عبد الملك بالحجاج ، فدخل فمكثنا طويلا فما شككت أنهما يتشاوران فى قتلى ثم دعانى فقمت ودخلت فوافانى الحجاج خارجا فعانقنى ، وقال : جزاك الله عنى خيرا فى هذه النصيحة أما والله لئن عشت لأرفعن قدرك ، وتركنى وخرج ؛ ودخلت وأنا أقول يهزأ بى وهومعذر ، فدخلت على عبد الملك فأجلسنى مجلسى الأول ثم قال لى : قد علمت صدقك وقد عزلته عن الحرمين وولايته العراق وأعلمته أنك استقللت له الحجاز واستدعيت له العراق وأنك تطلب له الزيادة فى الأعمال وهو يظن أنك السبب فى توليته العراق وقد تهلل وجهه فرحا بذلك ، فسر معه أيضا أينما توجه يولك خيرا ولاتقطع نصيحتك عنا والله أعلم[1].

**[٢٣] وفى مروج الذهب للمسعودى[2] وشرح السيرة وغيرهما :** أن أم الحجاج بن يوسف ، وهى : الفارعة بنت همام ولدته مشوها لادبر له فثقب دبره وأبى أن يقبل ثدى أمه أو غيرها فأعياهم أمره ، فيقال : إن الشيطان تصور لهم فى صورة الحارث بن كلدة[3] ، فقال : ماخبركم ؟

---

(١) انظر : الشهب اللامعة فى السياسة النافعة ، لابن رضوان المالقى ص ١٢٨ .

(٢) انظر : مروج الذهب (١٣٠/٢) ، والمسعودى هو : أبو الحسن على ، مؤرخ ورحالة من أهل بغداد ، من ذرية بن مسعود رضى الله عنه ، ت[٣٤٦هـ = ٩٥٧م] .

(٣) الحارث بن كلدة الثقفى : طبيب العرب فى عصره ، وأحد الحكماء المشهورين ، من أهل الطائف . مولده قبل النبى ﷺ وبقى أيام رسول الله ، وأيام أبى بكر وعمر وعثمان وعلى ومعاوية وكان النبى يأمر من به علة أن يأتيه فيتطبب عنده ، ت[٥٠هـ = ٦٧٠م] . انظر : طبقات الأطباء (١٠٩/١) .

فقالوا : ولد ليوسف الثقفى من الفارعة ولد وقد أبى أن يقبل ثدى أمه ، فقال : اذبحوا له تيسا أسود وألعقوه دمه ثم اذبحوا له أسود سالخا وأولغوه من دمه وأطلوا به وجهه ثلاثة أيام ، ففعلوا فقبل الثدى في اليوم الرابع فكان لايصبر عن سفك الدم وارتكاب أمور لا يقدر عليها غيره أهـ[1] .

[٢٤] **من حياة الحيوان[2] فى حرف التاء[3] وحكى** :أن الحجاج انفرد يوما من عسكره فلقى أعرابيا ،فقال له :ياوجه العرب كيف الحجاج؟ فقال : ظالم غاشم . قال : هلا شكوته إلى عبد الملك بن مروان، قال : أظلم وأغشم عليهما لعنة الله . فبينما هو كذلك إذ تلاحقت به عساكره فعلم الأعرابى أنه الحجاج ؛ فقال : الأعرابى :أيها الأمير السر الذى بينى وبينك لايطلع عليه أحد إلا الله.فتبسم الحجاج وأحسن إليه وانصرف .

[٢٥] **وذكر أهل التواريخ** : أن الحجاج بن يوسف الثقفى ، سهر ليلة وعنده جماعة منهم خالد بن عرفطة ، فقال : ياخالد ائتنى بمحدث من المسجد ، والناس إذ ذاك يطلبون المقام فى المسجد ، فانتهى إلى شاب قائم يصلى فجلس حتى سلم ، ثم قال : أجب الأمير قال : أبعثك الأمير إلىَّ قاصد ؟ قال : نعم فمضى معه حتى انتهى إلى الباب ، فقال له خالد : كيف أنت ومحادثة الأمير ؟ قال : سيجدنى كما يحب إن شاء الله تعالى ،

---

(١) انظر : مروج الذهب للمسعودى (١/١٣٠) .

(٢)صاحب كتاب حياة الحيوان : محمد بن موسى بن عيسى بن على الدميرى ، أديب من فقهاء الشافعية من أهل دميرة (بمصر) ولد بالقاهرة وتوُفى بها [٨٠٨هـ - ١٤٠٥م] .

(٣) انظر : حياة الحيوان الكبرى للدميرى ، حرف التاء (١/٢٤٥) .

فلما دخل عليه ، قال له الحجاج : هل قرأت القرآن ؟ قال : نعم وقد حفظته ، قال : فهل تروى شيئا من الشعر ؟ قال : ما من شاعر إلا وأروى عنه ، قال: فهل تعرف من أنساب العرب ووقائعها ؟ قال : لايذهب عنى شيء من ذلك، فلم يزل يحدثه بكل ماأحب حتى إذا هم بالانصراف ، قال: ياخالد مر للفتى ببرذون وغلام ووصيفة وأربعة آلاف درهم ، فقال الفتى : أصلح الله الأمير بقى من حديثى أظرفه وأعجبه فعاد الحجاج إلى مجلسه، وقال: حدثنى ، فقال: أصلح الله الأمير هلك والدى وأنا طفل صغير فنشأت فى حجر عمى وله ابنة بسنى وكنا فى التصابى من الصبا وماكنا فيه أعجوبة، حتى إذا بلغت وبلغت تنافس الخطاب فيها وبذلوا فيها أموالا لجمالها وكمالها فلما رأيت ذلك خامرنى السقم وضنيت ورميت على الفراش ثم عمدت إلى خابية عظيمة فملأتها رملا وصخرا وقبرت رأسها ودفنتها تحت فراشى فلما، تم على ذلك أيام بعثت إلى عمى، فقلت: ياعمى إنى كنت أريد السفر فوقعت على مال عظيم وخفت أن أموت ولايعلمه أحد فإن حدث بى أمر فأخرجه ، وأعتق عنى عشر نسمات، واحجج عنى عشر حجج ، وجهز عنى عشر رجال بخيولهم وأسلحتهم، وتصدق عنى بألف دينار ، ولاتبال ياعم فإن المال كثير . فلما سمع عمى مقالتى أتى امرأته فأخبرها بقولى فما كان بأسرع من أن أقبلت بجواريها حتى دخلت على فوضعت يدها على رأسى؛ ثم قالت: والله يابن أخى ماعلمت بسقمك وماحل بك حتى أخبرنى أبو فلان الساعة وأقبلت تلاطفنى وتعالجنى بالأدوية وحملت لى لطائف وردت الخطاب عن ابنتها. فلما رأيت ذلك تحاملت ثم بعثت إلى عمى أن الله عز وجل قد أحسن إلى وعافانى فابتغ لى جارية من خصالها وكمالها كيت وكيت ولايسألونك

شيئا إلا أعطيته ، فقال يابن أخى مايمنعك من ابنة عمك، فقلت : هى من أعز خلق الله تعالى على غير أنى قد خطبتها قبل ذلك فامتنعت ، قال:كلا إن الامتناع كان من قبل أمها وهى الآن سمحت ورضيت بذلك ، فقلت : شأنك فرجع إلى امرأته فأخبرها بقولى فجمعت عشيرتها وزوجونى إياها ، فقلت: عجل على بابنة عمى كيف شئت ثم أريك الخابية فأهديت إلى ولم تدع شيئا يصنع بإشراف النساء إلا فعلته ثم زفت ابنتها علىٌ وأحضرتها بكل ماوجدت إليه سبيلا ؛ وأخذ عمى؛ متاعا من التجار بعشرة آلاف درهم وكان يأتينا فى كل صباح من قبل أبويها لطائف وتحف مدة فلما كان بعد ذلك بأيام أتانى عمى ؛ وقال : يابن أخى إنا قد أخذنا من التجار متاعا بعشرة آلاف درهم وليسوا صابرين على حبس الثمن ، قلت : شأنك والخابية فمر مسرعا حتى جاء بالرجال والحبال فاستخرجها وحملها ومر مسرعا بها إلى منزله . فلما فتحها وجد فيها ما علمت فما كان بأسرع من أن جاءت أمها بجواريها فلم تدع فى منزلى كثيرا ولا قليلا إلا حملته فبقيت مهانا على الأرض ، وجفتنا كل الجفاء فهذا حالى أصلح الله الأمير فأنا من خجلى وضيق صدرى آوى إلى المساجد؛ فقال الحجاج : ياخالد مر للفتى بثياب ديباج وفرس أرمنية وجارية وبرذون وغلام وعشرة آلاف درهم ، وقال : يافتى اغد إلى خالد غدا حتى تستوفى منه المال فخرج الفتى من عند الحجاج قال : فلما انتهيت إلى باب دارى سمعت ابنة عمى تقول : ياليت شعرى ماأبطأ بابن عمى أقتل أم مات أم عرض له سبع ، قال: فدخلت عليها وقلت يابنة عمى أبشرى وقرى عينا فإنى دخلت على الحجاج فكان من القصة كيت وكيت وحكيت لها ما كان من أمرى فلما سمعت الفتاة مقالتى ، لطمت وجهها وصاحت فسمع أبوها وأمها

وأخواتها صراخها فدخلوا عليها وقالوا لها : ماشأنك ؟ فقالت لأبيها : لا وصل الله رحمك ولاجزاك عنى وعن ابن أخيك خيرا جفوته وضيعته حتىأصابته الخفة وذهب عقله اسمع مقالته فقال العم ياابن أخى ماحالك ؟ فقلت : والله مابى من بأس إلا أنى دخلت على الحجاج وذكر له من أمره ما كان وأنه أمر له بمال جزيل ، فقال العم لما سمع مقالته هذه مرة صفراء ثائرة فباتوا يحرسونه تلك الليلة فلما أصبحوا بعثوا إلى المعالج فجعل يعالجه ويسعطه مرة ويسهله أخرى ، فيقول الفتى : والله مابى من بأس وإنما دخلت على الحجاج فكان كيت وكيت فلما رأى الفتى أن ذكر الحجاج لايزيده إلا بلاء كف عنه وعن ذكره ؛ ثم قال له ماتقول فى الحجاج قال مارأيته ثم خرج المعالج فقال لهم قد ذهب عنه الأذى ولكن لاتعجلوا بحل قيده فبقى الفتى مقيدا مغلولا .

فلما كان بعد أيام ذكره الحجاج، فقال ياخالد : مافعل الفتى ؟ فقال أصلح الله الأمير مارأيته منذ خرج من حضرة الأمير ، قال : فابعث إليه أحدا ، قال : فبعث إليه خالد حرسيا فمر الحرسى على العم فقال له : مافعله ابن أخيك فإن الحجاج يطلبه ، قال : إن ابن أخى لفى شغل عن الحجاج قد ابتلى ببلاء فى عقله ، قال : لاأدرى ماتقول لابد من الذهاب به الساعة ؛ فدخل عليه العم فقال : يابن أخى إن الحجاج قد بعث فى طلبك أفاحلك ؟ قال : لا إلا بين يديه فحمل فى قيوده وغله على ظهور الرجال حتى أدخل على الحجاج ، فلما نظره من بعد جعل يرحب به حتى انتهى اليه فكشف قيده وغله وقال : أصلح الله الأمير إن آخر أمرى أعجب من أوله وحدثه بحديثه فعجب الحجاج ، وقال : ياخالد أضعف للفتى ماكنا

قد أمرنا له به ، فقبض المال أجمع وحسن حاله ولم يزل مسامراً للحجاج حتى مات أهـ.

[٢٦] **قيل** : وحضر أعرابى عند الحجاج ، فقدم الطعام فأكل الناس منه ثم قدمت الحلوى فترك الحجاج الأعرابى حتى أكل منها لقمة ثم ، قال: من أكل من الحلوى ضربت عنقه فامتنع الناس من أكلها وبقى الأعرابى ينظر إلى الحجاج مرة وإلى الحلوى مرة ثم ؛ قال : أيها الأمير أوصيك بأولادى خيرا ثم اندفع يأكل ، فضحك الحجاج حتى استلقى على قفاه وأمر له بصلة.

[٢٧] **وحكى** : أن الحجاج أمر صاحب حراسته أن يطوف بالليل فمن وجده بعد العشاء ضرب عنقه ، فطاف ليلة فوجد ثلاثة صبيان يتمايلون وعليهم أثر الشراب فأحاط بهم ؛ وقال لهم : من أنتم حتى خالفتم الأمير ؟

فقال الأول :

أنا ابن من دانت الرقاب له ... ما بين مخزومها وهاشمها
تأتى إليه الرقاب صاغرة ... يأخذ من مالها ومن دمها

فأمسك عن قتله ، وقال : لعله من أقارب أمير المؤمنين .

وقال الثانى :

أنا ابن الذى لاينزل الدهر قدره ... وإن نزلت يوما فسوف تعود
ترى الناس أفواجا إلى ضوء ناره ... فمنهم قيام حولها وقعود

فأمسك عن قتله ، وقال : لعله من أشراف العرب .

وقال الثالث :

أنا ابن الذى خاض الصفوف بعزمه وقومها بالسيف حتى استقامت
ركابـــاه لاتنفـك رجلاه منهما إذا الخيل فى يوم الكريهة ولت

فأمسك عن قتله ، وقال : لعله من شجعان العرب فلما أصبح رفع أمرهم إلى الحجاج فأحضرهم وكشف عن حالهم ، فإذا الأول ابن حجام ، والثانى ابن فوال ، والثالث ابن حائك ، فتعجب الحجاج من فصاحتهم ، وقال : لجلسائه علموا أولادكم الأدب فوالله لولا الفصاحة لضربت أعناقهم ثم أطلقهم وأنشد :

كن ابن من شئت واكتسب أدبا يغنيك محموده عن النسب
إن الفتى من يقول هـا أنـا ذا ليس الفتى من يقول كان أبى

[٢٨] **وقيل** : أمر الحجاج بقتل أسرى ، فقتل منهم جماعة ؛ فقال رجل منهم، وقد عرض للقتل : ياحجاج إن كنا أسأنا فى الذنب فما أحسنت فى العفو والله تعالى يقول ﴿**فاذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب حتى إذا أثخنتموهم فشدوا الوثاق فإما منًا بعد وإما فداء**﴾ [محمد:٤] فهذا قول الله تعالى فى الكفار فكيف بالمسلمين،وقد قال الشاعر:

ومانقتل الأسرى ولكن نفكهم إذا أثقل الأعناق حمل الغلائل

فقال الحجاج : أف لهؤلاء الجيف ، والله لو قال هؤلاء مثل ما قال هذا الرجل ماقتلت منهم أحدا ولكن أطلقوا بقيتهم .

[٢٩] **قال الراوى** : ولما ولى الحجاج العراق قال : على بالمرأة الحرورية فلما حضرت قال لها كنت بالأمس فى وقعة الزبير تحرضين الناس على قتل رجالى ونهب أموالى ، قالت : نعم قد كان ذلك ياحجاج فالتفت

الحجاج إلى وزرائه ، وقال : ماترون فى أمرها ؟ فقالوا : عجل بقتلها ، فضحكت المرأة ، فاغتاظ الحجاج وقال:ماأضحكك ؟ قالت : وزراء أخيك فرعون خير من وزرائك هؤلاء ، قال : وكيف ذلك قالت : لأنه استشارهم فى موسى ، فقالوا : أرجه وأخاه أى أنظره إلى وقت آخر وهؤلاء يسألونك تعجيل قتلى فضحك الحجاج وأمر لها بعطاء وأطلقها .

[٣٠] **وحكى** : أن هند بنت النعمان[١] كانت أحسن نساء زمانها فوصف للحجاج حسنها فخطبها وبذل لها مالا جزيلا وتزوج بها وشرط لها عليه بعد الصداق مائتى ألف درهم ، ودخل بها ثم إنها انحدرت معه إلى بلد أبيها المعرة مدة طويلة ثم إن الحجاج رحل بها إلى العراق فأقامت معه ماشاء الله ثم دخل عليها فى بعض الأيام وهى تنظر فى المرآة وتقول :

وماهند الا مهرة عربية ... سلالة أفراس تحللها بغل
فإن ولدت فحلاً فلله درها ... وإن ولدت بغلا فجاء به البغل

فلما سمع الحجاج كلامها انصرف راجعا ولم يدخل عليها ولم تكن علمت به فأراد الحجاج طلاقها ، فأنفذ إليها عبد الله بن طاهر وأنفذ لها معه مائتى ألف درهم وهى التى كانت لها عليه ، وقال : ياابن طاهر طلقها بكلمتين ولاتزد عليهما فدخل عبد الله بن طاهر عليها فقال لها : يقول لك أبو محمد الحجاج كنت فبنت ؛ وهذه المائتا ألف درهم التى كانت لك

---

(١) هند بنت النعمان بن بشير الأنصارية : شاعرة فصيحة وأديبة برزة ، كانت ذات حسن وجمال . وكانت عند روح بن زنباع ، قبل أن يتزوجها الحجاج . انظر : أعلام النساء (٥/٢٥٩) .

قبله. فقالت : اعلم يابن طاهر إنا والله كنّا فما حمدنا ثـم بنّـا فمـا ندمْنـا ، وهذه المائتا ألف هى لك ببشارتك بخلاصى من كلب ثقيف ؟

ثم بعد ذلك بلغ أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان خبرهـا ووُصـف له جمالها فأرسل إليها يخطبها لنفسه فأرسلت إليه كتاباً تقـول فيـه : بعـد الثناء عليه : اعلم يا أمير المؤمنين : إن الكلب ولغ فى الإناء . فلما قرأ عبـد الملك بن مروان الكتاب ضحك من قولها ، وكتـب إليهـا يقـول : إذا ولـغ الكلب فى إناء أحدكم فليغسله سبعا إحداهن بالتراب ، فغسْـلُ الإنـاء يحـل الاستعمال . فلما قرأت كتاب أمير المؤمنين لم يمكنها المخالفـة ، فكتبـت إليه تقول بعـد الثنـاء عليـه : اعلـم يـاأمير المؤمنيـن إنـى لاأحـرى العقـد إلا بشرط، فـإن قلـت : مـا الشـرط ؟ أقـول : أن يقـود الحجـاج محملـى مـن المعرة[1] إلى بلدك التى أنت فيها ويكون ماشيا حافيا بحليته التى كان فيهـا أولا . فلما قرأ ذلك الكتاب عبد الملك ضحك ضحكا شديدا وأرسل إلـى الحجاج يأمره بذلك . فلما قرأ الحجاج رسالة أمير المؤمنيـن أجـاب ولـم يخالف وامتثل الأمر وأرسل الحجـاج إلـى هنـد يأمرهـا بـالتجهز فتجهـزت وسار الحجاج فى موكبه حتى وصل المعرة بلـد هنـد فركبـت فـى محمـل وركب حولها جواريها وخدمها فترجل الحجاج وهـو حـاف وأخـذ بزمـام البعير يقوده ويسير بها ، فأخذت تهزأ عليه وتضحك مع الهيفاء دايتهـا؛ ثـم إنها قالت لدايتها:يادايتى اكشفى لـى سـتارة المحمـل لنشـم رائحـة النسـيم فكشفته فوقع وجهها فى وجهه فضحكت عليه فأنشد يقول :

---

(١) المَعَرَّة هى : معرة النعمان ، مدينة فى سوريا ، وهى مركز رأس أبى العلاء المعرى.

فإن تضحكى ياهند يارب ليلة  تركتك فيها كالقباء المفرج[1]

فأجابته تقول :

وما نبالى إذا أرواحنا سلمت  بما فقدناه من مال ومن نشب[2]

فالمال مكتسب والعز مرتجع  إذا النفوس وقاها الله من عطب

ولم تزل تلعب وتضحك إلى أن قربت من بلد الخليفة ؛ فلما قربت من البلد رمت من يدها دينارا على الأرض وقالت : ياجمّال إنه سقط منّا درهم. قال : بل دينار فقالت : الحمد لله سقط منّا درهم فعوضنا الله دينارا . فخجل الحجاج وسكت ولم يرد جوابا ثم دخل بها على عبد الملك بن مروان فتزوج بها وكان من أمرها ما كان[3] .

**[٣١] ذكر فى حياة الحيوان[4] قال عون بن أبى شداد العبدى :**

بلغنى أن الحجاج بن يوسف لما ذكر له سعيد بن جبير[5] أرسل قائدا من الشام يسمى المتلمس بن الأحوص ومعه عشرون رجلا ، فبينما هم يطلبونه

---

(١) القباء المفرج ، المراد : أنه أهملها وتركها وحيدة .

(٢) النَشَب : الديار والأملاك .

(٣) انظر : أخبار النساء لابن القيم ص ٦٥ .

(٤) انظر حياة الحيوان ، حرف اللام (٤٢٦/٢) .

(٥) سعيد بن جبير الأسدى ، أبو عبد الله : من علماء التابعين العباد ، أخذ العلم عن عبد الله بن عباس ، ثم كان ابن عباس إذا أتاه أهل الكوفة يستفتونه قال : أتسألوننى وفيكم ابن أم دهماء يعنى سعيدا ، قال أحمد بن حنبل ، لما قتله الحجاج : قتل الحجاج سعيدا وما على وجه الأرض أحدا إلا وهو مفتقر إلى علم سعيد ، ت[٩٥هـ - ٧١٤م] . انظر : طبقات ابن سعد (١٧٨/٦) ، وفيات الأعيان (٢٠٤/١) .

إذا هم براهب فى صومعة له فسألوه عنه ، فقال الراهب : صفوه فوصفوه فدلهم عليه ، فانطلقوا فوجدوه ساجدا يناجى ربه بأعلى صوته فدنوا منه وسلموا عليه فرفع رأسه فأتم بقية صلاته ثم رد عليهم السلام ، فقالوا : أرسل الحجاج إليك فأجبه فقال : لابد من الإجابة ؟ قالوا : لابد ، فحمد الله وأثنى عليه وصلى على نبيه ﷺ ثم قام فمشى معهم حتى انتهى إلى دير الراهب .

فقال الراهب : يامعشر الفرسان أصبتم صاحبكم ؟ قالوا : نعم ، قال: اصعدوا إلى الدير فإن الأسد واللبوة يأويان إلى الدير فعجلوا الدخول قبل المساء ففعلوا ذلك ، وأبى سعيد أن يدخل الدير ، فقالوا : مانراك الا تريد الهرب ، قال : لا ولكن لا أدخل منزل مشرك أبدا ، قالوا : فإنا لاندعك فإن السباع تقتلك ، قال سعيد : إن معى ربى يصرفها عنى ويجعلها حرسا لى من كل سوء إن شاء الله تعالى ، قالوا : أفأنت نبى من الأنبياء ؟ قال:ما أنا من الأنبياء ولكن عبد من عبيد الله خاطئ مذنب ، قالوا احلف لنا إنك لاتبرح ، فحلف لهم . فقال لهم الراهب : اصعدوا الدير وأوتروا القسى[1] لتنفروا السباع عن هذا العبد الصالح ، فإنه كره الدخول علىّ فى الصومعة فدخلوا وأوتروا القسى فإذا هم بلبوة أقبلت ودنت من سعيد وتحككت وتمسحت به ثم ربضت قريبا منه ، ثم أقبل الأسد فصنع مثل ذلك ، فلما رأى الراهب ذلك وأصبحوا نزل إليه وسأله عن شرائع الإسلام وسنن رسول الله ﷺ ففسر له سعيد ذلك كله فأسلم الراهب وحسن إسلامه ، وأقبل القوم على سعيد يعتذرون إليه ويقبلون يديه ورجليه ويأخذون التراب الذى

---

(١) أوتروا القُسّى : استعدوا للرمى بالسهام .

وطئه بالليل وصلى عليه وقالوا ياسعيد حلفنا الحجاج بالطلاق إن نحن رأيناك لا ندعك حتى نشخصك إليه فمرنا بما شئت قال : امضوا لشأنكم فإنه لابد من الرجوع لخالقى ولاراد لقضائه فسار حتى وصلوا واسط فلما انتهوا ، قال لهم سعيد : يامعشر القوم قد تحرمت بكم وصحبتكم ولست أشك أن أجلى قد حضر وأن المدة قد انقضت ، فدعونى الليلة آخذ أهبة الموت وأستعد لمنكر ونكير وأذكر عذاب القبر ومايحثى علىَّ من التراب فإذا أصبحتم فالميعاد بينى وبينكم المكان الذى تريدون ، فقالوا لبعضهم : لانريد أثراً بعد عين ، وقال بعضهم : قد بلغتم أمنيتكم واستوجبتم جوائزكم من الأمير فلا تعجزوا عنه ، فقال بعضهم : هو على أدفعه إليكم إن شاء الله تعالى فنظروا إلى سعيد فدمعت عيناه واغبر لونه ولم يأكل ولم يشرب ولم يضحك منذ لقوه فقالوا بأجمعهم : ياخير أهل الأرض ليتنا لم نعرفك ، ولم نرسل إليك ، الويل لنا ، كيف ابتلينا ، ماعذرنا عند خالقنا يوم المحشر الأكبر، والمحاوبة له ، وقال كفيله : أسالك ياسعيد بالله ألا مازودتنا من دعائك وكلامك ، فإنا لانلقى مثلك أبدا فدعا لهم سعيد ، ثم خلوا سبيله فغسل رأسه ومدرعته وكساءه وهم مختفون الليل كله .

فلما انكشف عمود الصبح جاءهم سعيد بن جبير فقرع الباب ، فقالوا: صاحبكم ورب الكعبة فنزلوا إليه وبكوا معه طويلا ثم ذهبوا به إلى الحجاج ، فدخل عليه المتلمس فسلم وبشره بقدوم سعيد بن جبير ؛ فلما مثل بين يديه ، قال : ماسمك؟ قال : سعيد بن جبير . قال أنت شقى بن كسير. قال : بل أمى كانت أعلم باسمى منك .قال : شقيت أنت وشقيت أمك . قال : الغيب يعلمه غيرك . قال: لأبدلنك بالدنيا نار . قال : لو

علمت أن ذلك بيدك لاتخذتك إلها . قال : فما قولك فى محمد؟ قال : نبى الرحمة قال: فما قولك فى على أفى الجنة أم فى النار قال لو دخلتها وعرفت أهلها عرفت من فيها قال : فما قولك فى الخلفاء قال : لست عليهم بوكيل. قال : فأيهم أحب إليك ؟ قال : أرضاهم للخالق . قال : فأيهم أرضى للخالق ؟ قال : علم ذلك عند الذى يعلم سرهم ونجواهم . قال : فما بالك لاتضحك قال أيضحك مخلوق من طين والطين تأكله النار فما بالنا نضحك . قال : لم تستو القلوب . قال : ثم أمر الحجاج باللؤلؤ والزبرجد والياقوت فوضعه بين يديه، فقال سعيد : إن كنت جمعت لتفتدى به من فزع يوم القيامة فصالح والإ ففزعة واحدة تذهل كل مرضعة عما أرضعت ولاخير فى شئ جمع لدنيا إلا ماطاب وزكا ؛ ثم دعا الحجاج بآلات اللهو فبكى سعيد . فقال الحجاج: ويلك ياسعيد اختر أى قتلة تريد. قال: اختر لنفسك ياحجاج فوالله لاتقتلنى قتلة إلا قتلك الله مثلها فى الآخرة . قال : أفتريد أن أعفو عنك . قال : إن كان العفو من الله فبلى ، وأما أنت فلا . قال : اذهبوا به فاقتلوه فلما خرج من الباب ضحك فأخبر الحجاج بذلك فأمر برده ، وقال: ماأضحكك ؟ قال : عجبت من جراءتك على الله وحلم الله عليك ، فأمربالنطع فبسط بين يديه ، وقال : اقتلوه . قال : ﴿**وجهت وجهى للذى فطر السماوات والأرض حنيفا ومأنا من المشركين**﴾[الأنعام:٧٩] قال : وجهوه لغير القبلة. قال سعيد : ﴿**فأينما تولوا فثم وجه الله**﴾[البقرة: ١١٥] قال : كبوه لوجهه. فقال سعيد : ﴿**منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى**﴾[طه: ٥٥] فقال الحجاج: اذبحوه. فقال سعيد : أشهد أن لااله الا الله وأشهد أن محمدا

عبده ورسوله اللهم لاتسلطه على أحد يقتله بعدى ، فذبح على النطع رحمه الله تعالى فكان رأسه بعد قطعه يقول لا إله إلا الله ، وعاش الحجاج بعدها خمسة عشرة يوما وذلك فى سنة خمس وتسعين وكان عمر سعيد رضى الله تعالى تسعا وأربعين سنة، والله سبحانه وتعالى أعلم[1] .

---

(١) انظر : حلية الأولياء لأبى نعيم (٢٧٢/٤) .